كلية دار العلوم

قسم الفلسفة الإسلامية

الدراسات العليا

أصول التصوف عند الشَّيْخ أحمد زَرُّوق ت ٨٩٩هـ

رسالة علمية مقدمة

لنيل درجة التخصص "الماجستير" في الفلسفة الإسلامية

إعداد

الباحث / عمرو محمد مصطفى عمر

بإشراف

الأستاذ الدكتور/ عبد الحميد عبد المنعم مدكور

أستاذ الفلسفة الإسلامية

كلية دار العلوم – جامعة القاهرة

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

إهـــــــداء

- **إلى: والدى الذي أحسن في تربيتي ، وأكرم عنايتي ، أبقاه اللّه سبحانه بخير وزاده خيراً وبَلَّغَهُ الخير.**
- **إلى: والدتى، التى ملأت نفسى حباً وأملاً، فلم تنقطع يوماً عن الدعاء، ولم أيأس أبداً من قبول اللّه تعالى لدعائها، حفزتنى لطلبه، وأعانتنى على تحصيله ، رحمها – اللّه تعالى - رحمة واسعة .**
- **إلى: ولدى (محمد) فرحة قلبى، وسرور نفسى. أسأل اللّه – عز وجل - أن يكون من الصالحين.**
- **إلى: زوجتى، لمسة الوفاء، وهمسة الأمل .**
- **إلى: جميع أحبتى من: أخٍ وأختٍ أشقاء الروح والفؤاد .**
- **إلى : كل صديق دعمنى وشجعنى .**
- **إلى: كل من عاوننى وساندنى.**
- **إلى كل هؤلاء أهدى هذا العمل.**

الباحث

شكر وتقدير

هذا مقام الشكر والعرفان لكل من حمل لى قبساً فى طريق البحث ، ما من ريب أنه لتعجز الكلمات عن وصف ما يشعر به الإنسان ، و يقف القلم حائرا ويجف سيلانه قبل تسجيل رسالة شكر وعرفان وامتنان و تقدير، تفي بحق أصحاب الفضل .

لقد تمت هذه الدراسة بفضل الله تعالى تحت إشراف الأستاذ الدكتور /عبد الحميد عبد المنعم مدكور

الذي يرجع إليه الفضل بعد الله تعالى بخروج هذه الرسالة إلى النور، فقد تفضل فأعطانى الكثير من علمه، ووقته، وجهده، وكان كريم في نصحه، وإرشاده، وعطائه، لتخرج هذه الرسالة في أبهى صورة .
فقد مهد لى الطريق ، وأخذ بيدى فيه فلم يدخر وسعاً فى توجيهى حتى رأب صدع هذا البحث ولم شعثه فقد كان نعم المنة من العلى المنان فلسيادته منى عظيم الشكر والتقدير،وكل البر على أبوة العلم أطال الله في عمره، ونفع الإسلام والمسلمين بعلمه ، وأن يجعل علمه إمامه إلى الجنة ..آمين

وكما يطيب لي في هذا المقام أن أعترف لكل ذي فضل بفضله، وأبدأ شكري وامتناني وعرفاني للأستاذ الدكتور / أبو اليزيد أبو زيد العجمى أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية العلوم الذى تفضل مشكوراً فوافق وقبل مناقشة هذا العمل وتقويم صاحبه فجزاه الله تعالى عن جميع طلابه خيراً فقد ترك فى نفوسهم وعقولهم آثاراً نيرة لا يمحوها الزمان .

وأتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان والتقدير لفضيلة الأستاذ الدكتور / فتحى أحمد عبد الرازق أستاذ ورئيس قسم أصول الدين بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر الشريف موئل العلم والعلماء، لتفضل سيادته بمناقشة رسالتي هذه بعين خبيرة ، وقلب واع ،وعقل حكيم، وإنه ليسرنى أن استزيد من علمه وملاحظاته القيمة.
ولا يفوتني أن أتقدم بشكري وعرفاني لأساتذتي الكرام الذين تعلمت على أيديهم فى قسم العقيدة والفلسفة - بكلية أصول الدين - جامعة الأزهر الشريف فنهلت من علمهم وفضلهم وخلقهم .
وكما لا يسعني أيضا إلا أن أتقدم بشكري وعرفاني للأساتذة الأفاضل الذين تعلمت على أيديهم فى قسم الفلسفة الإسلامية - بكلية دار العلوم – جامعة القاهرة و نهلت من علمهم وفضلهم وخلقهم .
ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساعد على إتمام هذا البحث وقدم لى العون ومد يد المساعدة .
أبقى الله تعالى لمصر العلماء الأجلاء ينيرون الطريق للباحثين والطلاب...،

المقدمة

وتشمل :-

- التعريف بموضوع الدراسة .
- أهمية الموضوع .
- دوافع الموضوع وأسبابها .
- صعوبات الدراسة .
- الدراسات السابقة .
- أوجه الاختلاف عن الدراسات السابقة .
- منهج الدراسة .
- خطة الدراسة .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله الذى وسع كل شيء رحمة وعلماً ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد مبدى جواهر الحق ونفائس الحكم ، وعلى آله وصحبه ومن اقتدى فنال الفخر والكرم ... وبعد ،

- **التعريف بموضوع الدراسة وأهميته .**

فإن التصوفَ يحتل بين فروع المعرفة الإسلامية مكانَةً سامية ، فهو في رأى بعض الدارسين خلاصةُ الحكمة في الآداب الإسلامية ، وخلاصةُ النور في الفضائل المحمدية ، وهو جماعُ الدراسات النفسية والقلبية في الفكر الإسلامي ، وهو المساهمُ الأكبر في تجلية المعاني القرآنية والأحاديث النبوية ، والتصوف بذاته ثمرةٌ كبرى في المعارف الإسلامية [1] .

ولقد اهتم بدراسة علم التصوف الكثير من الأعلام في مختلف العصور ، ومن هذه الشخصيات التي تقابلنا في تاريخ التصوف الإسلامي ، الصوفي الكبير الشيخ أحمد زروق الفاسى ت ٨٨٩هـ ، ذلك الرجل الذي جذبه رحيقُ التصوف منذ حداثته ، وتعلق في سنواته المبكرة بالتصوف ، فبكر زروق بسلوك الطريق الصوفي في بدء حياته بحكم عدة مؤثرات :

- **النشأة في بيت قوامه الذكر والزهد والورع ، وكان لجدته أكبر الأثر في هذه النزعة الصوفية التي صاحبته منذ حداثته ؛ حيث كانت الجدة عريقةً في الصلاح والتقوى .**
- **البيئة التى غلب عليها الطابعُ الصوفي أعنى مدينة فاس .**

إن الكلام عن زروق شيخ الصوفية في وقته ومصحح المسار كلام ذو شجون ، فالرجل لم يكن من أهل الله فقط ، بل وأضاف لنفسه أموراً أخرى وهى:

- ☒ **أنه يعد واحداً من أهم المنظرين للتصوف فقد قعد قواعده وضبط مسائله ، فهو ممن نظروا لعلم التصوف حتى أضحى فنّا يشهد بمكانته العلماء والأساتذة والباحثون ، ومادة تدرسها الأجيال لتقف عند مكنونات ما سطره شيخنا فيما اعتقده وعمل به وسار عليه ، وعرف عنه.**
- ☒ **أنه شيخ ومحتسب الصوفية ، الذي ملأ ذكره الآفاق ، نظرا لما خلفه من كتب ولما عرف عنه من ورع ولما عهد في فكره من قضايا جذبت إليها الألباب لأنها ترتبط بالتنظير الصوفي من مرتكز فكر مقاصدي رصين ، يلتزم الأصول الكلية التي جاءت بها الشريعة ، ويقوم على أساس اجتهاد تعبدي تكتنفه حكم ومعاني ربانية .**

---

(١) أ. د/ محمد عبد المنعم خفاجي ـ الأدب في التراث الصوفي ، طبعة مكتبة غريب – الفجالة : ص (٣٩-٤٠) .

☒ ترك الشيخ أحمد زروق إلى جانب السيرة العطرة والذكر الحسن، العديد من المؤلفات التي انتشرت في البلاد الإسلامية، وهي في فنون شتى، في العربية والحديث والحكمة والتصوف والفقه.

☒ أن مصادر الشريعة شكلت لديه وعلى رأسها الكتاب والسنة أهم مصدر كان يستقي فكره منها ، يعزز كثيراً من آرائه وأحكامه بشواهد عدة من كتاب الله وسنة نبيه وشواهد من أقوال الصحابة.

☒ أنه فقيه جمع بين الحقيقة والشريعة ، ويمكن أن نضع زروقا – رحمه الله– بذلك في المقدمة من زمرة "الصوفية الفقهاء" أو "فقهاء الصوفية" فأحمد زروق تحقّق حين جمع بين الفقه والتصوف ، بل إنك تخال الرجل فقيها أكثر منه متصوفا ، وهو الأمر الذي خول له المكانة التي جعلت منه محتسب الصوفية ، وشدت إليه الرحال من كل بقاع الأرض، لقد أحس الشيخ أثناء تجواله أن العالم الإسلامي محتاج إلى نوع من الوحدة الروحية المعتمدة على أصول التشريع وقوانين الفقه وأصول الأخلاق ، لذلك أراد أن يحقق هذه الوحدة في إطار عملي يجمع بين حقيقة الإسلام وحقيقة الإيمان والإحسان، واستطاع بما يملك من قدرات عقلية ومن موسوعة علمية أن يصل إلى مراده وأن يقرب المدلول الصوفي إلى المدلول الفقهي.

☒ أكثر من نقد الصوفية إلى جانب مدح طريقتهم لا من باب معاداتهم ، وإنما من باب إصلاح أحوالهم كحجة الإسلام أبي حامد الغزالي وغيره ، وقدم منهجا نقدياً يعد نموذجاً للمسلم الباحث عن الحقيقة ليدحض بها الباطل بعيداً عن الذاتية ، متصفاً بالموضوعية والحياد .

فجاء مذهبه الصوفى :

- نموذجاً للتصوف السني القائم على ميزان الشريعة ، وضع به أمام المريد منهجا للسلوك إلى الله دون أن يحيد عن الشرع.
- نموذجاً للتقريب بين العلماء والصوفية، في سبيل القضاء على ثقافة القطيعة والنزاع التي كانت قائمة بين الطرفين خلال القرون الماضية، وإيجاد جسر مشترك يجمع بين الجانبين.
- يقدم لأي مريد الوسيلة العلمية للحكم على الأفكار الصوفية التي كانت منتشرة، حتى يتمكن من التمييز فيما بينها. فهو أول من وضع القواعد للتصوف ويقوم بمهمة تقعيد التصوف.
- يكشف عن مواطن الخلل في البنية الصوفية من بدع ، والممارسات الخرافية والعقائد الشعبية، بحيث أصبح كل من شاء ينسب نفسه إلى التصوف دون ضوابط، مما فتح المجال أمام الفوضى والتقولات، فأدرك الشيخ زروق ضرورة وضع «مدونة للسير» في الطريق إلى الله لإنقاذ التصوف من الضلالات.

- **دوافع الدراسة وأسبابها .**

ويمكن أن ألخص أسباب اختياري لهذا الموضوع فيما يلي :

١- مكانة الإمام زروق العلمية ، ويكفى للتدليل على ذلك :

أ- الكم الكبير من التلاميذ الذين قام برعايتهم رعاية صوفية عملياً وعلماً فكانوا مشاعل للهداية قاموا بانتهاج فكر صوفى قويم .

ب- الكم الكبير من المؤلفات إذ أنه قد كثرت مصنفاته وتنوعت فنونها ، وقد ملأها بكثير من آرائه الصوفية .

٢- أهمية دراسة آراء الإمام زروق الصوفية ؛ مما يحتم بيانها ومناقشة ما فيها ؛ وذلك ليتعرفَ الناسُ على عقلية هذا الإمام ؛ وليستفيدوا من سيرته ومؤلفاته ، بعضُها لم يَسْبق إليه أحد ؛ مما جعل كثيراً من العلماء والنقاد ينهلون من مؤلفاته . وقد قمت باستقراء كلامه وتقصى آرائه المتناثرة فى معظم مؤلفاته سواء أكانت مطبوعة أو مخطوطة .

٣- تقديم صورةً صادقةً للتصوف الصحيح ، فقد قام الشيخ زروق بجهد جهيد ضد المدعين للتصوف في عصره وأصحاب الشطحات ، فما برح يرد أغاليط هؤلاء المدعين ، ويعمل على التحرر من تلك الشطحات والأساطير التي انتشرت في عصره ، ومن ثم فهى رسالة لمدعى التصوف ليعود إلى رحاب التصوف الحق .

خلاصة القول : يعتبر زروق رجلاً عارفاً صوفياً سلك طريق القوم في التقرب والرقي العرفاني والسلوكي. على أنه من داخل المنظومة الصوفية سيقف في وجه من دنسوا صفاء هذه التجربة الروحية الصادقة من أدعياء بني قومه، وسيحاول لفت النظر للشوائب الاعتقادية التي ألصقت بالدين عن طريق الدعوى والدروشة والتبرك، والاعتقاد بالتسليم المطلق للأحياء والأموات. إنه بلغة أخرى قد دافع عن نمط صوفي مُعيَّن هو "الصوفية العالمة" أو "الولاية العالمة"التي تستنير وتستضيء بهدى المنقول المتواتر. فالعالم ولي الله، والولي لا يكون إلا عالماً.

لقد كانت مؤلفات الشيخ من المصادر الصوفية المهمة والمتميزة لما تحتويه من رؤى تنظيرية تصحيحية مركزة اعتمدت على دحض الأباطيل ورد الشبهات لذا تعد مصنفاته وثيقة علمية مهمة، كفيلة بإثراء الوعى التاريخي، والتفكير الديني.

ومعلوم عند المهتمين بشخصية زروق أنه اعتز بالتصوف ووعى دوره في إصلاح الذات وتربية النفس التي بصلاحها يصلح المجتمع. فأسس طريقته على أسس مستنيرة لا يفقد المستند عليها توازنه بين الظاهر والباطن. يقول زروق رحمه الله: "اعلم أن الفقه والتصوف أخوان في الدلالة على أحكام الله سبحانه. فلا تصوف إلا بفقه إذ لا تعلم أحكام الله الظاهرة إلا منه، ولا فقه إلا بتصوف".

▪ صعوبات الدراسة .

قابلتنى فى هذه الدراسة عدة صعوبات هى :

(١) تنوع وكثرة مؤلفات الشيخ مما استلزم وقتاً وجهداً فى طلبها والحصول عليها مطبوعة كانت أو مخطوطة داخل وخارج الجمهورية فقد تنقلت داخلياً فى مكتبات الأزهر الشريف ، ودار الكتب القومية ، ومكتبة وزارة الأوقاف للمخطوطات ، ومعهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، ومكتبة الإسكندرية بمحافظة الإسكندرية ، وتنقلت خارجياً فى مكتبة الحرمين المكى والنبوى ، ومكتبة الملك فهد ، و جامعة أم القرى ، و جامعة الملك سعود ، ومركز الملك فيصل بالمملكة السعودية ، كما راسلت مجموعة من الأصدقاء بدولة ليبيا ، والملكة المغربية .

(٢) كثرة التفاصيل فى الموضوع الواحد وتشعبها وتفرقها فى مصنفات الشيـــخ مما استلزم وقتاً وجهداً فـــى جمعهـا وترتيبها بحيث حاولت قدر طاقتى أن تظهر فى نسق متكامل مترابط الأجزاء .

▪ الدراسات السابقة .

(أ) رسائل جامعية :

☒ **هناك أطروحات جامعية عن شروح الشيخ على بعض الكتب ، وهى بحسب المعلومات التى جمعتها على النحو التالى :**

اللغة العربية.

أطروحة الباحثة / ندى السيد محمد محمد الساعى- ماجستير – بعنوان شرح الشيخ زروق على متن الأجرومية – المملكة السعودية – جامعة أم القرى – كلية اللغة العربية – قسم النحو- عام ١٩٩١م .

الفقه .

١- أطروحة الباحث / أحسن بن محمد زقور – شرح زروق على المنظومة القرطبية – المملكة الأردنية – الجامعة الأردنية – ١٩٩٠م .، وقد نشرتها – دار ابن حزم – بيروت – عام ٢٠٠٥م.

٢- قامت كلية الآداب جامعة المراقب – الخمس – ليبيا بتحقيق كتاب الشيخ زروق المسمى (مفتاح السداد الفهمي شرح كتاب الإرشاد الفقهي للشيخ ابن عسكر ت ٧٣٢هـ) فى عدة رسائل ماجستير .

علم الكلام .

أطروحة الباحث / عبد الله بن الأزهرى الماليزى – اغتنام الفوائد فى شرح العقائد – ماجستير – جامعة الأزهر – كلية أصول الدين – القاهرة – عام ١٩٩٦م .

☒ **هناك أطروحات جامعية عن فكر الشيخ وكتبه وهى بحسب المعلومات التى جمعتها كما يلى :**

الفقه .

أطروحة الباحث / عبدالله الدوكالي علي معتوق، رسالة دكتوراه بعنوان " منهج الشيخ احمد زروق الفقهي (ت٨٩٩هـ)" بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة،- عام ٢٠١٢م .

التصوف .

أطروحة الباحث / إدريس عزوزى – تحقيق ودراسة كتاب الشيخ زروق (عدة المريد الصادق) – دكتوراه – المغرب ، وقد نشر على نفقة وزارة الأوقاف المغربية عام ٢٠١١م

(ج) كتب :

١- كتاب أ.د/ على فهمى خشيم – بعنوان "أحمد زروق والزروقية "- ١٩٧١م .

وهذا الكتاب يعد أشهر دراسة عن الشيخ زروق ، وهى الأساس لكل ما جاء بعدها ، وهذه الدراسة تقع فى ٣١٥صفحة ، وقد قسمها الدكتور / على خشيم على النحو التالى :

الفصل الأول :- سيرة زروق وترجمة حياته.

الفصل الثانى :- تراث الشيخ ومؤلفاته .

الفصل الثالث :- تأثير الشيخ وطريقته .

الفصل الرابع :- مذهبه الصوفى .

الفصل الخامس :- زروق الناقد .

والحقيقة أنه يرجع الفضل للدكتور خشيم فى توجيه الأنظار للشيخ زروق ويكأنه مسح الغبار عن مرآة التاريخ ليكشف عن تراث وفكر أحد شيوخ الصوفية المنسيين .

ورغم الجهد المشكور للدكتور / خشيم إلا أن هناك عدة نقاط جديرة بالذكر :

- **جاءت معالجة الدكتور خشيم مستفيضة فى جانبها التاريخى نظراً لاعتماد الدكتور على كناشة زروق التى نشرها محققة بالتزامن مع هذا الكتاب فى مطلع السبعينات من القرن المنصرم مع التعريج على مدينتى (مصراته) و(فاس) وتاريخهما .**
- **جاءت المعالجة مختصرة فى جانبها التحليلى للموضوعات فنجد الموضوع الواحد يعالجه الدكتور خشيم فى عدة ورقات وذلك على سبيل الإجمال وكأنه يقدم ملخصاً للموضوع فمثلاً "موضوع الذكر" عند الشيخ أورده فى ورقتين من ص ١٩٣- ١٩٥، وموضوع "الشيخ" فى ثلاث ورقات من ص ٢٥٩- ٢٦٢، وهكذا نجد الدكتور خشيم يتناول الموضوع ذا الجوانب المتعددة فى عدة ورقات .**

- **ظهور معلومات ومخطوطات لم تتوافر عند إعداد الدكتور خشيم لدراسته حيث أعدها سنة ١٩٦٩م ، مما يعنى وجود جديد يجب إضافته حتى يتم كشف اللثام عن جانب من جوانب فكر ذلك العالم الكبير الذى لا يقل عن أساطين العلم الكبار .**

٢- كتاب الشيخ / محمد طيب – بعنوان " الشيخ أحمد زروق – محتسب العلماء والأولياء " – دار الثقافة – الدار البيضاء – ٢٠٠٥م .

هذا العمل أعده حفيد الشيخ كما ذكر عن نفسه محاولة منه لتوثيق نسب الشيخ وانتمائه إلى قبيلة بنى وریاكل وليس إلى حى البرانس كما هو مشهور فى نسب الشيخ ، مع استعراض الظروف التاريخية والسياسية والثقافية لعصره وبيان تأثيرها على الشيخ ، مع نبذة يسيرة عن مكانة الشيخ العلمية من ص ٩٣إلى ص ١٢٨.

وهذه الدراسات وإن كانت حميدة في بابها إلا أنها لا تغنى عن غيرها ، بل نراها لا تستوعب تراث الشيخ وفكره لذا يقول الدكتور/ خشيم " من المستحيل تغطية جوانب نشاط زروق كلها ، إذ كان – فى الحق– علامة متعددة الجوانب " [١] ، ويقول أيضا " إن عالم زروق الصوفى والفقهى متسع وعميق ، وما من شك فى أن تراثه الغزير لا يزال فى حاجة إلى مزيد من الدرس والتحليل "[٢]

- **تتطرق الدراسة إلى تناول موضوعات هامة فى فكر الشيخ أغفلت الدراسات السابقة الحديث عنها منها على سبيل المثال :**
  - **مفهوم التصوف عند الشيخ .**
  - **ومن هو الصوفى الحق ؟.**
  - **أصول التصوف عند الشيخ.**
  - **الأحوال والمقامات .**
  - **الولاية .**
  - **ملامح الجوانب الإصلاحية عند الشيخ .**
  - **الجانب التجديدى في فكر الشيخ .**
- **هذه الدراسة يقصد بها عرض دعائم وقواعد المذهب الصوفى عند الشيخ زروق ومصادره فى بناء نسقه الصوفى تنظيراً وتطبيقياً ، وهذا يجعلنا نقف على وسنحاول أن نضع القارئ هنا أمام مراد الباحث فى عنوان أطروحته " أصول التصوف عند الشيخ زروق "**

نقول : الأصول لغة : مفردها أصل ولها أربعة معانٍ لغوية هي :

– الأساس (ما يبنى عليه غيره) مثل : أصل البيت أساسه

---

(١) د/ على فهمى خشيم – أحمد زروق والزروقية – دار المدار الإسلامى – بيروت – عام ٢٠٠١م – ص ٢٣.

(٢) المرجع السابق ص ١٢.

- الجذر (ما له فرع) مثل أصل الشجرة جذرها .
- مادة الشيء وحقيقته مثل أصل الإنسان من طين وأصل الزجاج الرمل .
- قعر الشيء مثل : أصل الجحيم قعر جهنم وأصل البئر قعره .

وتأتي اصطلاحا بمعانٍ كثيرة(١) وهذه المعاني فى جملتها ترجع إلى المعاني اللغوية ، وعليه يمكن القول بأنه يراد بدلالة العنوان هنا [ما يُبنى عليه الفكر الصوفى عند الشيخ ، ويستند وجوده إليه من قواعد كلية تشتمل على جزئيات وفروع ، وأدلة إجمالية تنوعت عنها مسالكه ومناهجه ومسائله يتضح بها مادة هذا الفكر وحقيقته].

وهناك أكثر من مقصد وراء هذا العنوان يمكن توضيحه على النحو التالى :

المقصد الأول : بيان المصادر الصوفية فى التجربة الزروقية .

وهذا يعنى :

- الوقوف على الخطوط الرئيسية لتجربة فريدة لصوفى التزم فى تصوفه بمصادر الإسلام.
- إلقاء الأضواء على هذه المصادر بمثابة رسالة تحذير شديد اللهجة إلى ثلاثة أصناف :

☒ الصنف الأول : هؤلاء الذين يميلون إلى اعتبار التصوف الاسلامى الذى يستحق اسم التصوف هو الذى ينبع من منابع غير إسلامية ، وهم بذلك يضربون الفكر الصوفى فيضعونه خارج دائرة الإسلام الصحيح .

☒ الصنف الثانى : هؤلاء الذين يهاجمون التصوف باعتبار مصادره تخالف قواعد الإسلام وأصوله فهو فى نظرهم خروج على البناء المتكامل للشخصية المسلمة فأوقدوا ضد التصوف نار الحرب .

☒ الصنف الثالث :هؤلاء الذين انحرفوا بأصول ومصادر التصوف بعيداً عن الأصول الشرعية فى تجاربهم الصوفية بحجة أنهم ذاقوا الحقيقة فلم يثبتوا المعانى ، ولم يحققوا المبانى فتعلقوا بالباطن فرفضوا الظاهر فكانوا منتسبين غير عاملين ، وجاهلين غير عالمين .

---

(١) من أشهرها :

- الأصل بمعنى المستصحب كالأصل في المياه الطهارة .
- والأصل بمعنى الراجح كقولنا الأصل عند الجمهور حرمة المعازف .
- الأصل بمعنى القاعدة : كقولنا الأصل الضرورات تبيح المحظورات .
- الأصل بمعنى المقاس عليه كالأصل في المسكرات الخمر .
- الأصل بمعنى الدليل : الأصل في كفر تارك الصلاة قوله صلى الله عليه وسلم " العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر .."
- الأصل بمعنى السند هذا الحديث لا أصل له أي لا سند له .
- الأصل بمعنى النسب كقولنا فلان لا أصل له أي لا نسب يعرف به.

المقصد الثانى : بيان أصول الطريقة الزروقية وأسسها .

فالشيخ أفاض فى الحديث عن أصول طريقته فى رسائل مختلفة ، ويوصى بقراءتها واستظهارها ، والعمل بمقتضاها ، ونبهنا إلى معالم الطريق ، وحدد لنا موضوعاته التى يجب التحلى بها والتخلى عنها .

وهذا يعنى:

- **كون الشيخ يقدم إطارا تنظيرياً يجب على السالك المتصوف عموماً الالتزام به (فكراً وعملاً) مهما كانت طريقته .**
- **كون الشيخ يقطع الطريق على المدعي بلا حقيقة والمتشيخ عن جهالة بلا طريقة .**

المقصد الثالث : بيان هذه الأصول التى أطر بها طريقته وفكره تعالج قضايا شائكة فى سلاسة وموضوعية وتفض الاشتباك المزمن حول التصوف بين مؤيديه ومعارضيه

▪ منهج الدراسة .

استوجبت طبيعة البحث أن تتعدد المناهج التى كان على أن أتبعها فى دراستى لهذا الموضوع وهى :

☒ المنهج التاريخى:

يبرز المنهج التاريخى فى الدراسة فى استظهار بعض الأفكار المتعلقة بثنايا الدراسة تاريخياً .

☒ المصدر الذى اعتمد عليه الشيخ [القرآن والسنة] وما استقى منهما ، وشأن كل ما كان راجعاً إلى النصوص فى البحث أن يكون منهجه :

(التحليل) انتقالا من المعلوم للمجهول ، والبدء بفكرة كلية لينتهى إلى عناصر محددة وواضحة .

و(التركيب) لتأكيد ما استنبط بالتحليل من كل نص على حدة .

▪ خطة الدراسة .

خرج هذا البحث فى :

مقدمة : بينتُ فيها ما مر بيانه .

ثم ترجمة مختصرة تتحدث عن التعريف بالشيخ .

ثم تمهيد عرضت فيها مفهوم التصوف وحقيقته عند الشيخ

- **الفصل الأول : التجربة الصوفية ومصادرها عند الشيخ .**

وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول :- زروق والتصوف .

المبحث الثانى :- نشأة الزروقية وتطورها .

المبحث الثالث :- المصادر الصوفية في التجربة الزروقية .

- **الفصل الثانى : الطريقة الزروقية .. المعالم والأصول**

وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول :- الأصول الشرعية للتصوف عند الشيخ.

المبحث الثانى :- الأصول الفكرية للتصوف عند الشيخ.

المبحث الثالث :- الأصول السلوكية للتصوف عند الشيخ .

- **الفصل الثالث : الطريق الصوفى عند الشيخ في ضوء أصول تصوفه**

وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول :- الرياضة الصوفية .

المبحث الثانى :- منازل الطريق.

المبحث الثالث :- مقام التحقق والإحسان .

- **الفصل الرابع : الجانب التجديدى فى فكر الشيخ زروق**

وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول :- الجانب النقدى فى فكر الشيخ زروق .

المبحث الثانى :- الجانب الإصلاحى فى فكر الشيخ زروق .

- **الخاتمة وتتضمن :-**
  - **نتائج البحث .**
  - **التوصيات .**
- **الملاحق وتتضمن :**
  - **ملحق رقم (١) : قائمة بمؤلفات الشيخ كما توصل إليها الباحث .**
  - **ملحق رقم (٢) : الوظيفة الزروقية .**

ترجمة الشيخ أحمد زروق

أحمد بن أحمد بن محمد بن محمد[١] عيسي بن حسين[٢]الخضار[٣] البرنسي[٤]الفاسي المالكي[٥]

---

(١) انفرد بهذا الاسم صاحب فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ج١ ص ٣٤١ .

(٢) انفردت بهذا الاسم موسوعة أعلام الحضارة العربية ٤٣/٥ طبعة وزارة الثقافة السورية – دمشق – الأولي ١٩٩٦ م

(٣) هذا أول إشكال في اسم الشيخ زروق فإن كتابتها تختلف من مكان إلي آخر فتارة تكتب الخضار وتارة تكتب الحضار وعن ذلك يقول العلامة كنون في كتابه (ذكريات مشاهير رجال المغرب) ص ٦ " ولعل الحضار بالحاء المهملة هو الصواب فإن بقرب قرية " تيلوان " – مدفن والده من قبيلة البرانسي – واديا يسمي الحضار فيحتمل أنه نسب نفسه إلي هذا الوادي " بينما يؤكد السيد / محمد طيب في كتابه (أحمد زروق محتسب العلماء والأولياء) ص ١٥ أنها تكتب الخضار وعن سبب لقبه بالخضار يقول " فلأن أباه سيدي أحمد وجده سيدي محمد كانا يخصصان مكاناً بجوار قبيلة البرانس لزراعة الخضر" ، لكن الشيخ زروق حل هذا الإشكال في مقدمة أرجوزته الشهيرة عيوب النفس ودواؤها بقوله :-

يقول راجي رحمة الغفار أحمد نجل أحمد الخضار

البرنسي الأصل ثم الفاسي المشهور بزروق بين الناس

(٤) هذا ثان إشكال في اسم الشيخ زروق حيث إن طريقة كتابته تختلف في كتب التراجم فنجد :-

أ – بعض كتب التراجم تسميه " البرنوسي " بواو بعد النون مثل : – طبقات الشاذلية الكبري ص ١١٨ ، التذكار ص ١٧١، الأنوار السنية علي الوظيفة الزروقية ص٢١ ، دوحة الناشر لابن عسكر ص ٤٨ ويكتبها البرنوسي أو البرنوصي ويقول كلاهما صحيح .

وعن هذه التسمية يقول د/ خشيم في كتابه (أحمد زروق والزروقية) ص ٢٧ " وبالرغم من قبول العربية لهذه النسبة فإننا نستطيع أن نستخلص من بداية قصيدته (أرجوزة في عيوب النفس) أن البرنسي دون واو هو النطق السليم .

ب – وبعض كتب التراجم تنسبه (البرلسي) تحريفا بتغيير النون لاما مثل :- هدية العارفين ٩/٢، ٧٢/٢ ، شذرات الذهب ٣٦٣/٧ ، كشف الظنون ٦٧٥/١ ـ ١٠٣٦/٢ ، معجم المؤلفين ١٥٥/١ .

ج- التسمية الصحيحة هي (البرنسي) و في ضبطها رأيان :-

الرأي الأول : – وهو لمعظم المترجمين للشيخ زروق شكلوا الكلمة بفتح الباء – وقد تكسر – وسكون الراء – وكسر النون فهي إشارة الي مكان ولادته (البرانس) بالسين أو البرانص)بالصاد وكلاهما صحيح وهو حي من أحياء دوار تافرنوث قديماً بقبيلة بني ورياكل وهي نسبة إلي عرب بالمغرب – كما ذكر أحمد بابا في كتابه نيل الابتهاج ص ٨٧ ولكن كتب التاريخ تعدها قبيلة بربرية وهذا ما ذهب إليه ليون في كتابه وصف إفريقيا ص ٥٤٨ ، ويؤكد ذلك عبد الوهاب بن منصور في كتابه (قبائل المغرب) ٣٦٣/١ (البرانس جذم كبير من البربر).

الرأي الثاني : شكل الكلمة بضم الباء والنون بينهما راء ساكنة (البرنسي) كما جاء في درة الحجال في أسماء الرجال ٩٠/١ وكما جاء فى كتاب معالم المغرب ٤/ ١١٦٦ وهي إشارة إلي ضريبة مرينية كان يؤديها سكان البوادي للمخزن المريني وعلي هذا لقب بالبرنسي لأن جده عيسي كان مكلفا بجمع الضرائب ومن عادة موظفي المخزن المريني آنذاك لباس البرنس راجع أ / محمد طيب في كتابه (أحمد زروق محتسب العلماء والأولياء) ص١٥ .

(٥) راجع المصادر التي ترجمت لاحمد زروق ومنها :-

- ابن مريم- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان المطبعة الثعالبية – الجزائر – ١٣٢٦هـ – ١٩٠٦م ص ٤٥- ٥٠
- السخاوى – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع مكتبة القدسى – القاهرة – ١٣٥٣هـ ٢٢٢/١ .
- ابن القاضى- درة الحجال في أسماء الرجال- دار التراث – القاهرة – الأولى- ١٩٧٠ .

وقد ترجم أحمد زروق لنفسه فى الكناش بتحقيق الدكتور / على فهمى خشيم .

وهذه التسمية هي المشهورة المتواترة في كتب التراجم ، لكن هناك بعض المراجع[1] تذكر أن اسمه (إسماعيل) وليس أحمد وهذا خطأ لأن زروق عندما ترجم لنفسه في كتابه الكناش أو في مقدمة كتبه كان يذكر اسمه كما أسلفناه.

يقول عن نفسه " ولدت يوم الخميس عند طلوع الشمس ٢٨ من شهر محرم ٨٤٦ هجري و توفيت أمي يوم السبت بعده و أبي يوم الثلاثاء بعده، كلاهما في سابعي، فبقيت بعون الله بين جدتي الفقيهة أم البنين فكفلتني نفعنا الله بها و الفقيرة إلى رحمة الله ,فكفلتني أم البنين حتى بلغت العشر فقرأت القرآن، فأدخلتني الصنعة، فتعلمت صناعة الخرز، ثم نقلني الله تعالى بعد بلوغي السادس عشر ، و لفظ " زروق إنما جاءني من جهة الجد كان أزرق العينين و اكتسبه من أمه.([2])

وتشير السيرة التي كتبها الشيخ إلى أن جدته كانت امرأة فقيهة صالحة، ربت حفيدها منذ نعومة أظفاره على الإيمان والاستقامة وطاعة الله عز وجل، فيقول الشيخ عن دورها "وعلمتني الصلاة وأمرتني بها وأنا ابن خمس سنين، فكنت أصلي إذ ذاك، وأدخلتني الكتاب في هذه السن، فكانت تعلمني التوحيد والتوكل والإيمان والديانة بطريق عجيب، وذلك أنها كانت في بعض الأيام تهيئ لي طعاما، فإذا جئت من الكتاب للفطور، تقول: ما عندي شيء، ولكن الرزق في خزائن مولانا عز وجل، اجلس نطلب الله، فتمد يديها، وأمد يدي إلى السماء داعين ساعة، نم تقول: انظر لعل الله جعل في أركان البيت شيئا ... ، فنقوم نفتش أنا وهي، فإذا عثرت على ذلك يعظم فرحي به، وبالله الذي فتح به، فتقول: تعال نشكر الله قبل أن نأكله، لأجل أن يزيدنا مولانا، فنمد أيدينا ونأخذ في الحمد والشكر ساعة، ثم نتناوله، ونفعل ذلك المرة بعد المرة، حتى عقلت"[3]

وكانت تحدثه بدل الخرافات التي اعتاد العجائز أن يسلوا بها الصغار بمعجزات رسول الله (ص) وسيرته المباركة، وغزواته، وسيرة السلف الصالح، وكراماتهم، لتكون قدوة له ومثلا في بلوغ مراتبهم، والتأسي بسيرتهم، وكانت كثيرا ما تردد عليه قولتها: لا بد من تعلم القراءة للدين، والصناعة للمعاش، فتربى زروق بذلك على الجد والمثابرة، وحفظ القرآن في سن العاشرة، وهو الوقت الذي توفيت فيه جدته، فتوجه لتعلم صنعة الخرازة، وتكسب منها زمنا، ثم تركها. ([4])

انتظم وهو ابن ستة عشر في سلك طلبة جامع القرويين والمدرسة العنانية معاً، وصار يتردد عليهما لدراسة أمهات كتب المذهب المالكي والحديث والأصول وقواعد العربية، كما درس بعضاً من كتب التصوف، وتتلمذ على أشهر علماء فاس وفقهائها آنذاك، وعددهم يزيد على ثلاثين فقيهاً و محدثاً وفقيراً، كما درس أمهات الكتب، ومنها كتاب التنوير لابن عطاء الله السكندري، وبدأ صلته بمشايخ الطريقة الشاذلية وهو في

---

(١) ابن العماد - شذرات الذهب ٧/ ٣٦٣، النبهانى - جامع كرامات الأولياء – مطبعة مصطفى البابى الحلبى – القاهرة – الطبعة الثانية ١٩٨٥ ١/ ٥٩٦ ، المناوى- الكواكب الدرية فى طبقات الصوفية - المكتبة الأزهرية – القاهرة – الأولى ١٩٩٤ ٣/ ١٢١.

(٢)أحمد زروق - الكناش بتحقيق الدكتور / على فهمى خشيم – ليبيا – ١٩٦٩م ص ١٢.

(٣) الكناش ص ١٣.

(٤)الكناش ص ١٤.